سِلسِلةُ العُلمَاءِ (٦)

إِمَامُ الحُكمَاءِ

مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ

إعداد

عمرو الأمير

تحت إشراف

عاطف عبد الرشيد

مُعاذُ بنُ جَبلٍ ﷺ سَابقُ العُلمَاءِ، وَإِمَامُ الحُكمَاءِ، أَعلمُ الأُمَّةِ بِالحَلالِ والحَرامِ، وَأحدُ السِّتَّةِ الَّذِينَ جَمعُوا القُرآنَ عَلَى عَهدِ النَّبِيِّ ﷺ.

أَسلمَ مُعاذٌ ﷺ بِالمدينةِ، وَشهِدَ بيعةَ العقبةِ الثَّانيةَ، وشَهِدَ غَزوةَ بدرٍ وغَزوةَ أُحُدٍ وغَزوةَ الخندقِ..وغيرَ ذَلكَ منَ الغَزواتِ وَالمعاركِ، وَبعثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلى أَهلِ اليَمنِ قَاضيًا ومُرشدًا، فَبَقِيَ في اليمنِ إلى أَنْ توفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ وَوَلِيَ أَبُو بَكرٍ ﷺ الخِلافةَ، فَعادَ إلى المدينةِ..ثمَّ شَهِدَ فَتحَ الشَّامِ مَعَ أَبِي عُبيدةَ بنِ الجرَّاحِ ﷺ في خِلافةِ الفَاروقِ عُمرَ ﷺ، فَانتشَرَ الطَّاعونُ في الشَّامِ، فماتَ فيهِ أَبُو عُبيدةَ.. فَصارَ مُعاذٌ أَميرَ الجيشِ، وظَلَّ بِالشَّامِ حتَّى مَاتَ بالطَّاعُونَ وتُوفِّيَ بالأُردنِ ودُفِنَ هُناكَ.

وفي هذَا الكتابِ نَتعرَّفُ على سِيرةِ الصَّحابيِّ الجليلِ، أبي عبدِ الرَّحمنِ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ.

مَولدُ مُعاذٍ وَإسلامُهُ

وُلِدَ مُعاذُ بنُ جَبلٍ ﷺ سنةَ ٢٠ قبلَ الهجرةِ (٦٠٣م) في المدينةِ المنوَّرةِ، في بيتٍ من أَشرفِ بيوتِ يَثربَ، فَأبُوهُ هُوَ: جبلُ بنُ عَمرِو بنِ أَوسِ بنِ عَائذِ بنِ عَديٍّ، وَأُمُّهُ هي هِندُ بنتُ سَهلٍ من جُهينَةَ..وقدْ نَشأَ مُعاذٌ علَى الصِّفاتِ الحَميدةِ، وَالأَخلاقِ الطَّيِّبةِ، وتَعلَّمَ الفرُوسيَّةَ وَفنُونَ القِتالِ، كمَا تَعلَّمَ القراءةَ والكتابةَ، فَلمَّا شَبَّ ظَهرَتْ صِفاتُهُ الجَسديَّةُ، فَكانَ طَويلَ الجسدِ، أبيضَ الوَجهِ، حسنَ الثَّغرِ، وَاسعَ العَينينِ، مجموعَ الحَاجبينِ..

وَلَمَّا بَلغَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ الثَّامنةَ عشرةَ منْ عُمرِهِ سَمِعَ أَنَّ رَجُلاً منْ مَكَّةَ جَاءَ إلى المدينةِ يَدعُو النَّاسَ إلى دِينٍ جَديدٍ، وهُوَ مُصعبُ بنُ عُميرٍ ﷺ، فَذهبَ إليهِ مُعاذٌ، واستمعَ لحديثِهِ، فَصدَّقَهُ، وآمنَ باللهِ ورسُولِهِ، وظَلَّ مَعَ مُصعبٍ في المدينةِ مُدَّةً منَ الزَّمنِ، ثُمَّ عَادَ مُصعبٌ إلى مكَّةَ، وَأخبرَ النَّبيَّ ﷺ بِأَنَّ الدعوةَ الإسلاميَّةَ انتَشرَتْ في المدينةِ، فَفرِحَ النَّبيُّ ﷺ بِنجاحِ سَفيرِ الإسلامِ في مُهمَّتِه.. فَلمَّا جَاءَ مُوسمُ الحجِّ جَاءَ منَ المدينةِ سَبعُونَ رَجُلاً، كَانَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ

ﷺ مِنْهُمْ، فَبايعُوا النَّبِيَّ ﷺ عِندَ العقبةِ علَى الإسلامِ والجهَادِ ونُصرةِ دينِ اللهِ، وكانتْ هَذِهِ هي بَيعةَ العَقبةِ الثَّانيةَ.

حُبٌّ ..وزُهدٌ

عَادَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ إلى المدينةِ بعدَ بَيعةِ العَقبةِ الثَّانيةِ وَمكثَ فِيها حتَّى هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَالمسلمونَ مِنْ مَكَّةَ إلى المدينةِ، فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بينَ المسلمينَ في المدينةِ، فَكانَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ هُوَ أَخُا مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ، آخَى بَينَهُمَا رسُولُ اللهِ ﷺ.

وَلازَمَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ، وكَانَ لا يُفارقُه إلا قَليلاً وَخَرجَ مُعاذٌ معَ السَّرايَا الإسلاميَّةِ الَّتِي كَانتْ تَخرجُ لِتأمينِ حُدودِ المدينةِ المنوَّرةِ، وَالإغارةِ علَى قَوافلِ المشرِكينَ لاستردادِ بعضِ مَا أَخذُوهُ مِنَ المسلمينَ، وَإرهابِ الأَعرابِ حَولَ المدينةِ حتَّى لا يطمعُوا في مُهاجمةِ المسلِمينَ أَو قِتالِهمْ ..

وَفِي سَنَةِ ٢هـ كَانَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ قَدْ بَلغَ إِحدى وَعشرِينَ سنةً، فَخرجَ معَ المسلِمينَ إلى غَزوةِ بَدرٍ، وقَاتلَ

مَعهُمْ أعداءَ الإسلامِ منَ المشرِكينَ، وأبلَى في هذِهِ الغَزوةِ بَلاءً عظيمًا حتَّى كَتَبَ اللهُ للمسلِمينَ النَّصرَ علَى أعدائِهمْ.. كمَا شَهِدَ مُعاذٌ ﷺ بَعدَ ذَلِكَ غَزوةَ أُحُدٍ، ثُمَّ غَزوةَ الخندقِ، وغيرَ ذَلِكَ مِنَ الغَزواتِ وَالمعاركِ معَ رسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ لَمْ يتخلَّفْ مُعاذٌ ﷺ عن غَزوةٍ قَط.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحبُّ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ﷺ، فَقَدْ قَابَلَهُ يَومًا فقالَ لهُ: "يَا مُعاذُ إِنِّي لأُحبُّكَ في اللهِ" فقالَ مُعاذٌ: وَأنَا وَاللهِ يَا رسُولَ اللهِ أُحبُّكَ في اللهِ. فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "أَفَلا أُعلِّمُكَ كَلماتٍ تَقُولُهُنَّ دُبرَ كُلِّ صَلاةٍ: رَبِّ أَعنِّي علَى ذكرِكَ وشُكرِكَ وَحُسنِ عِبادتِكَ" [أبو داود والنَّسائي].

وكَانَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ زَاهِدًا، قَليلَ الأَملِ في الدُّنيا، دَخَلَ ﷺ علَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يومٍ في المسجدِ، فقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "كيفَ أَصبحتَ يَا مُعاذُ؟" فَقالَ: أَصبحتُ مُؤمنًا بِاللهِ تَعالَى. قالَ ﷺ: "إِنَّ لِكُلِّ قَولٍ مصداقًا، وَلكلِّ حقٍّ حقِيقةً، فمَا مصداقُ مَا تقولُ؟" فَقَالَ مُعاذٌ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا أَصبحتُ صَباحًا قَط إِلاَّ ظَننتُ أَنِّي لا أُمسِي، ومَا أمسيتُ مَساءً قَط إِلاَّ ظَننتُ أَنِّي لا أُصبحُ، وَلا خَطوتُ خُطوةً إِلاَّ

ظَننتُ أَنِّي لاَ أَتبَعُهَا أُخرَى، وكَأَنِّي أنظرُ إلى كُلِّ أُمَّةٍ جاثيةً، تُدعَى إِلى كِتابِهَا، مَعهَا نَبيُّهَا وأوثانُهاَ الَّتِي كَانَتْ تَعبدُ مِنْ دُونِ اللهِ، وكَأَنِّي أَنظرُ إلى عقوبةِ أَهلِ النَّارِ، وثَوابِ أَهلِ الجنَّةِ. فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "عَرفتَ فَالزَمْ"[أبو نعيم].

سَابِقُ العُلَمَاءِ

كَانَ مُعاذُ بنُ جبلٍ ﷺ حَرِيصًا علَى العلمِ والتَّعليمِ، ولاَ يفوتُهُ مَجلسٌ مِنْ مَجالسِ النَّبِيِّ ﷺ، يتعلَّمُ مِنْهُ القُرآنَ وَالحديثَ، ويَحفظُ كُلَّ الَّذِي يَسمعُهُ حتَّى صَارَ أَحدَ الَّذين يَفتُونَ علَى عَهدِ رسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُمْ: عُمرُ، وعُثمانُ، وعلَيٌّ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ، ومُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وزَيدُ بنُ ثَابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهم.

وقدْ قَدَّمَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ مُعاذًا في العِلمِ بالفقهِ، فَقالَ: من أَرادَ الفقهَ فَليأتِ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ.

وكَانَ أَصحابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا تحدَّثُوا وَفِيهمْ معاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ نَظرُوا إليهِ هَيبةً لهُ واحترامًا.

وقدْ شهدَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذٍ بِأَنَّهُ سَابقُ العُلمَاءِ وَإِمَامُهُمْ،

فقالَ ﷺ: "يَأتِي مُعاذُ بنُ جبلٍ بينَ يَدي (إمامَ) العُلماءِ بِرتوةٍ (مسافةٍ كبيرةٍ)"[أحمد].

وكَانَ مُعاذٌ ﷺ أَحدَ الصَّحابةِ الَّذِينَ يَحفظُونَ القُرآنَ، ومِمَّنْ جَمعُوا القُرآنَ علَى عَهدِ رسُولِ الله ﷺ، قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ: "استَقرِئُوا القُرآنَ مِنْ أَربعةٍ: مِنْ عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ، وسَالم مَولَى أبي حُذيفةَ، وَأُبيِّ بنِ كَعبٍ، ومُعاذِ ابنِ جَبَلٍ"[متفق عليه].

قَاضِي اليَمنِ

بَعدَ غَزوةِ تَبوكَ كَانَ مُعاذُ بنُ جبلٍ ﷺ قدْ بلغَ عُمْرُهُ ثَمانِيَ وَعشرِينَ سنةً، وكَانَ علَى مُعاذٍ دُيُونٌ كثيرةٌ بسببِ كَرمِهِ وكثرةِ إنفاقِهِ، فَأرادَ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يُولِّيَهُ عَملاً لِيَأخذَ عَليهِ أجرًا يَستعينُ بِهِ في حَياتِه..فَلمَّا كَانَ شَهرُ ربيعٍ الآخرِ سنةَ ٩هـ أَخبرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ جَعلَهُ قَاضيًا علَى اليمنِ، وقَالَ لَهُ: "لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجبرَكَ (يُعوِّضَكَ عنِ المالِ الَّذِي أنفَقتَهُ)"[ابن سعد].

فَقامَ مُعاذٌ ﷺ وَجهَّزَ رَاحلتَهُ، ثُمَّ جَاءَ إلى النَّبِيِّ ﷺ،

فقالَ لَهُ ﷺ: "يَا مُعاذُ، إِنِّي أُوصيكَ بِتقوَى اللهِ، وَصدقِ الحديثِ، ووفَاءٍ بِالعهدِ، وأداءِ الأَمانةِ، وتركِ الخيانَةِ، ورَحمةِ اليتيمِ، وحفظِ الجَارِ، وكظمِ الغيظِ، وخفضِ الجنَاحِ، وبذلِ السَّلامِ، وَلينِ الكلامِ، ولزومِ الإيمانِ، وَالتَّفقهِ في القُرآنِ، وحُبِّ الآخرةِ، والجزعِ منَ الحسابِ، وقصرِ الأَملِ، وحُسنِ العملِ، وَأنهاكَ أنْ تَشتمَ مُسلمًا، أو تُكذِّبَ صَادِقًا، أَوْ تُصدِّقَ كَاذِبًا، أو تعصِي إِمَامًا عَادِلاً. يَا معاذُ، اذكرِ اللهَ عندَ كُلِّ حجَرٍ وشَجرٍ، وَأَحدِثْ معَ كُلِّ ذَنبٍ تَوبةً، السِّرُّ بِالسرِّ، وَالعلانيةُ بِالعلانيةِ"[أبو نعيم].

فَلمَّا أَرادَ مُعاذٌ ﷺ أَنْ يَنطلقَ إلى اليَمنِ سَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "كيفَ تَقضِي إِذَا عُرِضَ لكَ قَضاءٌ؟" فَقالَ مُعاذٌ ﷺ: أقضِي بِكتابِ اللهِ. قالَ ﷺ: "فَإِنْ لَمْ تجدْ في كِتابِ اللهِ؟" قَالَ: فَبِسُنَّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ. فَقالَ ﷺ: "فَإِنْ لَمْ تَجِدْ في سُنَّةِ رسُولِ اللهِ ﷺ وَلا في كتابِ اللهِ؟" فَقالَ مُعاذٌ: أجتَهدُ رأيي وَلا آلُو (ولاَ أُقصِّرُ). فَضربَ النَّبِيُّ ﷺ صَدرَهُ بِرفقٍ، وقالَ: "الحمدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رسُولَ رسولِ اللهِ لِمَا يُرضِي رسُولَ اللهِ"[الترمذي].

ثُمَّ أرسلَ النَّبِيُّ ﷺ إلى أَهلِ اليَمنِ رِسَالةً يَقولُ لَهُمْ: "إِنِّي قَدْ بَعثتُ عَليكُمْ مِنْ خَيرِ أَهلِي، وَالِي عِلْمِهِمْ، وَالِي دِينِهِمْ"[ابن سعد].

عَالِمٌ.. وَإِمَامٌ

ذَهبَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ إلى اليَمنِ، وكَانَ قَاضيًا عَادلاً، يَحكُمُ بينَ النَّاسِ بالسَّوِيةِ، ويَقضِي بَينَهُمْ بِمَا يُرضِي اللهَ ورسُولَهُ، وظَلَّ في اليَمنِ حتَّى تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ في شَهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ١١هـ، فَرجَعَ مُعاذٌ ﷺ إلى المدِنيةِ المنوَّرةِ، وكَانَ قدْ بلغَ عُمْرُهُ ثَلاثِينَ عَامًا.. وَصَارَ ﷺ في المدِينةِ بينَ الصَّحابةِ عالمًا وَإِمـامًا، يَسـألونَهُ فَيُجِيبُهُمْ، ويَستفتُونَهُ فَيفتِهِمْ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ ذَاتَ يومٍ: عَلِّمنِي. فَقالَ لَهُ مُعاذٌ: وهَلْ أَنتْ مُطيعِي؟ قالَ: إِنَّي علَى طَاعتِكَ لَحريصٌ. فَقالَ لَهُ مُعاذٌ: صُمْ وافطرْ، وصَلِّ ونَمْ، وَاكتَسبْ وَلا تَأثَمْ، وَلا تَموتنَّ إِلاّ وأنتَ مُسلمٌ، وإِيَّاكَ ودَعوةَ المظلُومِ.

وكَانَ مُعاذٌ ﷺ يَحثُّ أَصحَابَهُ دَائمًا علَى العِلمِ، فيقولُ: تَعلَّمُوا العِلمَ، فإِنَّ تَعلُّمَهُ للهِ تعَالى خَشيةٌ، وطَلَبَهُ

عِبادةٌ، ومذاكرتَهُ تَسبيحٌ، وَالبحثَ عَنْهُ جِهادٌ، وتَعليمَهُ لِمَنْ لا يَعلمُ صَدقةٌ، وبذلَهُ لأَهلِهِ قُربةٌ، لأَنَّهُ مَعالِمُ الحلالِ وَالحرامِ.

وكَانَ مُعاذُ بنُ جبَلٍ ﷺ يَنتقِلُ بينَ المدينةِ وَالشَّامِ، وكَانَ يَجلسُ في مَسجدٍ بمدينةِ حمصَ بِالشَّامِ، يَقولُ أَبُو مُسلمٍ الخَولانيُّ: دَخلتُ مَسجدَ حمصَ فإِذَا فِيهِ مَا يَقربُ مِنْ ثَلاثينَ شَيخًا مِنْ أَصحابِ رسُولِ اللهِ ﷺ، وإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ أَجحلُ (أَسودُ) العَينينِ، بَرَّاقُ الثَّنايَا (مُبتَسمٌ)، سَاكتٌ لا يَتكلَّمُ، فَإِذَا اختلفَ القومُ في شيءٍ أقبلُوا عليهِ فسألُوهُ، فَقلتُ لِجَليسِي: مَنْ هذَا؟ قَالَ: هذَا مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ. فَوقعَ في نَفسِي حبُّهُ، فَكنتُ معَهُمْ حتَّى تفرَّقُوا.

طَاعةُ مُعاذٍ

كَانَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ عَالِمًا عَاملاً بِعِلْمِهِ، يَعلمُ أَنَّ العملَ لَهُ الأجرُ الكبيرُ، فَكانَ يُكثرُ مِنَ العبادةِ وَالذِّكرِ، ويَقولُ لأَصحَابِهِ: اعلَمُوا مَا شئتُمْ أَنْ تَعلَمُوا، فلَنْ يَأجُرَكُمُ اللهُ بِعِلْمٍ حتَّى تَعْمَلُوا.

وكَانَ مُعاذٌ ﷺ حَرِيصًا علَى تَمامِ سُنَّةِ المصطَفَى ﷺ، مُتمسِّكًا بِهَا، وكَانَ يَقولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَأتِيَ اللهَ ﷻ آمنًا

فَليأتِ هَذِهِ الصَّلواتِ الخَمسَ؛ حَيثُ يُنادَى بهنَّ، فَإِنَّهُنَّ مِـنْ سُـنَنِ الهُدَى، وَمِمَّا سَنَّهُ لَكُمْ نَبيُّكُمْ ﷺ، وَلا يَقُلْ إِنَّ لِي مُصلًّى في بيتِي فَأُصلِّي فِيهِ، فإِنَّكُمْ إِنْ فَعلتُمْ ذَلِكَ تَركتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكُمْ، وَلَوْ تَركتُمْ سُنَّةَ نَبيِّكُمْ ﷺ لَضَلَلْتُمْ.

وكَانَ مُعاذٌ ﷺ كَثيرَ التَّهجُّد، يُصلِّي بِالليلِ والنَّاسُ نيامٌ، وكَانَ يَقولُ في تَهجُّده: اللَّهمَّ نَامَتِ العُيونُ، وغَارتِ النّجُومُ، وَأنتَ حيٌّ قَيُّومٌ، اللَّهمَّ طَلبي لِلجنَّةِ بَطيءٌ، وَهربِي مِنَ النَّارِ ضَعيفٌ، اللَّهمَّ اجعلْ لِي عِندَكَ هُدًى تَردُّهُ إِليَّ يَومَ القيامَةِ، إِنَّكَ لا تُخلفُ الميعَادَ.

وكَانَ مُعاذٌ ﷺ يُوصِي ابنَهُ فَيقولُ: يا بُنيَّ إِذَا صَليتَ صَلاةً فَصلِّ صلاةَ مُودِّعٍ، لا تَظنَّ أَنَّكَ تَعودُ إِليهَا أَبدًا، وَاعلَمْ يَا بُنيَّ أَنَّ المؤمنَ يَموتُ بينَ حَسنَتينِ، حَسنةٍ قَدَّمَهَا، وَحَسنةٍ أَخَّرَهَا.

كَرَمٌ.. وَمُساواةٌ

كَانَ مُعاذُ بنُ جبَلٍ ﷺ سَمحًا كَريمًا، يُنفقُ علَى الفُقراءِ وَالمساكينِ كُلَّ مَالِهِ، ولقَدْ تَسبَّبَ كرمُهُ وكثرةُ إنفَاقِهِ في كثرةِ

الديُونِ عَليهِ حتَّى بَاعَ كُلَّ مَا عندَهُ..وبَلغَ مِنْ كَرمِه أَنَّهُ كَانَ يَملكُ عبيدًا، فَوجدَهُمْ يُصلُّونَ، فَسألَهُمْ: لِمَنْ تُصلُّونَ هذِهِ الصَّلاةَ؟ قالُوا: للهِ ﷻ. فَقالَ: فَأنتُمْ للهِ. فَأعتقَهُمْ جَميعًا لِوجهِ اللهِ تَعَالَى.

وَيُروَى أَنَّ عُمرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ أَرسلَ إلى مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ بِأَربعِمئةِ دِينَارٍ معَ غُلامِه، وقَالَ للغلامِ: انَتظرْ حتَّى تَرَى مَا يَصنعُ، فَذهبَ بِهَا الغُلامُ، وقالَ لِمُعاذٍ: يَقولُ لكَ أَميرُ المؤمنينَ اجعَلْ هذِهِ في بَعضِ حَاجتِكَ. فَقالَ مُعاذٌ: رَحمَهُ اللهُ وَوَصلَهُ. ثُمَّ نَادَى علَى جَاريةٍ عندَهُ، فَقَالَ لَها: اذهَبِي إلى بَيتِ فُلانٍ بِكذَا، واذهَبِي إلى بَيتِ فُلانٍ بِكذَا.. فَفعلَتِ الجاريةُ مَا أَمرَها به حتَّى لَمْ يبقَ غيرُ دِينارَينِ، فقَالَتْ لَهُ: نحنُ وَاللهِ مَساكينُ، فَأعطِنَا. فَأعطَاهَا الدِّينارَينِ، فَرجعَ الغُلامُ إلى عُمرَ ﷺ وَأخبرَهُ بِمَا فَعلَهُ مُعاذٌ ﷺ، فَسُرَّ عُمرُ ﷺ بِذَلكَ.

وَقدْ عُرفَ مُعاذُ بنُ جبَلٍ ﷺ بِالعدلِ وَالمسَاواةِ بينَ أَهلِه، فَقدْ كانتْ لَهُ امرأَتَانِ، فَإذَا كَانَ يَومُ إِحدَاهمَا لا يتوضَّأُ وَلا يَشربُ الماءَ في بَيتِ الأُخرى، فَلمَّا كَانتَا مَعَهُ

في الشَّامِ مَاتتَا بالطَّاعُونِ في يَومٍ وَاحدٍ، فَأجرَى بينَهُما قُرعةً، أيَّتُهُمَا تُقدَّمُ في القَبرِ.

مَكانَةُ مُعاذٍ

نَالَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ مَكانةً عاليةً، ومنزلةً عظيمةً بِسببِ كَثرةِ علْمِه وتَقواهُ، فَقَد وَصفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بأنَّهُ "أَعلمُ النَّاسِ بِالحلالِ وَالحرامِ"[الترمذي].

وكَانَ الصَّحابةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهم ـ يَجتمِعُونَ حَولَهُ ليتعلَّمُوا منْهُ أُمورَ الحلالِ وَالحرامِ، وقالَ عنْهُ أَميرُ المؤمنينَ عُمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ: عجزَت النِّساءُ أَنْ يَلدنَ مثلَ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ، ولَولاَ مُعاذٌ لَهَلَكَ عُمرُ. ومَدحَهُ عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ فَقالَ: إنَّ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ ﷺ كَانَ أُمَّةً قَانتًا لله حَنيفًا ولَمْ يَكُ منْ المشركينَ. فَظَنَّ السَّامعُ أَنَّهُ نَسيَ، وَأَنَّهُ يقصدُ إبراهيمَ عليه السلام، فَقالَ السَّامعُ: إنَّ إبراهيمَ كَانَ أُمَّةً قَانتًا لله حَنيفًا. فقالَ لهُ ابنُ مَسعودٍ : مَا نَسيتُ، هَلْ تَدرِي مَا الأُمَّةُ ومَا القَانتُ؟ فَقالَ السَّامعُ: اللهُ أَعلمُ. فَقالَ ابنُ مَسعودٍ: الأُمَّةُ: الَّذي يُعَلِّمُ الخيرَ. والقانتُ: المُطيعُ لله ولِلرَّسُولِ، وكَانَ مُعاذٌ يُعلِّم النَّاسَ الخيرَ وَمُطيعًا للهِ ولِلرَّسُولِ.

وَفَاةُ مُعاذٍ

خَرجَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ مَعَ جيشِ المسلمينَ لِفتحِ الشَّامِ، وكَانَ أميرُ الجَيشِ هُوَ الصَّحابيُّ الجَليلُ أَبُو عُبيدةَ ابنُ الجرَّاحِ ﷺ.

وَفي سَنَةِ ١٨هـ (٦٣٩م) انتَشرَ في الشَّامِ طَاعُونٌ شَديدٌ، أصابَ كثيرًا منَ النَّاسِ بالهَلاكِ، حتَّى ضاقَ النَّاسُ بِهِ، وقَالُوا: إنَّهُ الطُّوفَانُ إلاَّ أنَّهُ لَيسَ بماءٍ. فقالَ لَهُمْ مُعاذٌ ﷺ: إنَّمَا هَذه رَحمةُ رَبِّكُمْ ﷻ، وَدَعوةُ نَبيِّكُمْ ﷺ، وَقَبضُ الصَّالحينَ قَبلَكمْ، اللَّهمَّ آتِ آلَ مُعاذٍ النَّصيبَ الأَوفرَ منْ هذِهِ الرَّحمةِ. وكَانَ مُعاذٌ يَعْلَمُ أَنَّ الَّذي يَموتُ بالطَّاعُونِ فَهوَ شَهيدٌ في سَبيلِ اللهِ.

ولَمَّا عَلِمَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ بالأَمرِ أَرسلَ إلى أَبي عُبيدةَ أَنْ يَخرُجَ منَ الشَّامِ، ولكنَّ أبا عُبيدةَ ذَكَّرَهُ بحديثٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ يَأمرُ فيهِ بعدمِ الخُروجِ منْ بَلدٍ أَصابَهَا الطَّاعُونُ.

وظَلَّ أَبُو عُبيدةَ بالشَّامِ حتَّى مَرِضَ مرضَ الموتِ، فجعلَ مُعاذًا ﷺ أميرًا علَى الجيشِ بعدَهُ، فَلمَّا تُوفِّيَ أَبُو عُبيدةَ صَلَّى عَليهِ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ ﷺ ودَفَنَهُ، ولَمْ يَخرجْ مُعاذٌ

مِنَ الشَّامِ أيضًا، فَأصابَهُ الطَّاعُونُ، كمَا أصابَ ابنَهُ عبدَ الرَّحمنِ، فقالَ لَهُ مُعاذٌ: يَا عبدَ الرَّحمنِ، كيفَ أنتَ؟ فَقالَ: يَا أَبتِ ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ فقالَ مُعاذٌ: وَأَنَا ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فَماتَ عبدُ الرَّحمنِ فَدفنَهُ مُعاذٌ ﷺ، وحَزِنَ عَليهِ، فَقَدْ كَانَ ابنَهُ البكرَ، وَأَحبَّ الخَلقِ إليهِ.

وبعدَ أَيَّامٍ مَرِضَ مُعاذٌ ﷺ مرضَ الموتِ، فَقالَ لِمَنْ حَولَهُ: انظرُوا، أأصبَحنَا أَمْ لاَ؟ فَقَالُوا: لا. ثُمَّ كرَّرَ ذَلكَ حتَّى قِيلَ لَهُ: أَصبَحنَا. فَقَالَ: أَعوذُ بِاللهِ مِن لَيلةٍ صبَاحُهَا إلى النَّارِ، مَرحبًا بالموتِ مرحبًا، زَائرٌ مَغَبٌّ (أي خيرٌ)، وحَبيبٌ جَاءَ علَى فَاقةٍ (حَاجةٍ إليهِ)، اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ كُنتُ أَخافُكَ فأنَا اليومَ أَرجُوكَ، اللَّهمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أُحبُّ الدُّنيَا وطَولَ البقَاءِ فِيهَا لجرِي الأَنهارِ، وَلا لِغرسِ الأشجارِ، وَلكِنْ لِظَمأ الهوَاجِرِ (يَقصدُ الصَّومَ في الحرِّ)، ومُكابدةِ السَّاعَاتِ (يَقصدُ قيامَ اللَّيلِ)، ومُزاحمةِ العُلماءِ بِالرُّكبِ علَى حِلقِ الذِّكرِ.

ثُمَّ تُوفِّيَ مُعاذٌ ﷺ وعُمْرُهُ ٣٨ سَنَةً، ودُفِنَ بِالغورِ بِنَاحيةِ الأردنِ، وقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ١٥٧ حَدِيثًا.